

تفسير ابن كثير

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم حين جادله قومه فيما ذهب إليه من التوحيد وناطروه بشبه من القول أنه قال { أتجاجوني في الله وقد هذان } أي تجادلونني في أمر الله وأنه لا إله إلا هو وقد بصرني وهداني إلى الحق وأنا على بينة منه فكيف ألتفت إلى أقوالكم الفاسدة وشبهكم الباطلة وقوله { ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا } أي ومن الدليل على بطلان قولكم فيما ذهبتم إليه أن هذه الالهة التي تعبدونها لا تؤثر شيئا وأنا لا أخافها ولا أبايها فإن كان لها كيد فكيدوني بها ولا تنظرون بل عاجلونني بذلك وقوله تعالى : { إلا أن يشاء ربي شيئا } استثناء منقطع أي لا يضر ولا ينفع إلا الله { وسع ربي كل شيء علما } أي أحاط علمه بجميع الأشياء فلا يخفى عليه خافية { أفلا تتذكرون } أي فيما بينته لكم أفلا تعتبرون أن هذه الالهة باطلة فتنزعروا عن عبادتها وهذه الحجة نظير ما احتج بها نبي الله ﷺ هود عليه السلام على قومه عاد فيما قص عنهم في كتابه حيث يقول { قالوا يا هود ما جئنا ببينة وما نحن بتاركي آلِهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين * إن نقول إلا اعتراك بعض آلِهتنا بسوء قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون * إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها } الآية وقوله { وكيف أخاف ما أشركتم } أي كيف أخاف من هذه الأصنام التي تعبدونها من دون الله { ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا } قال ابن عباس وغير واحد من السلف : أي حجة وهذا كقوله تعالى : { أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله } وقوله تعالى : { إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان } وقوله { فأني الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون } أي فأني طائفتين أصوب الذي عبد من بيده الضر والنفع أو الذي عبد من لا يضر ولا ينفع بلا دليل أيهما أحق بالأمن من عذاب الله يوم القيامة قال الله تعالى : { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } أي هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له ولم يشركوا به شيئا هم الامنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والاخرة .

قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال أصحابه وأينا لم يظلم نفسه ؟ فنزلت { إن الشرك لظلم عظيم } وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت هذه الآية { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله أينا لم يظلم نفسه ؟ قال [إنه

ليس الذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } إنما هو الشرك .

وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع وابن إدريس عن الأعمش عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قالوا : وأينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قال لابنه { يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } وحدثنا عمر بن تغلب النمري حدثنا أبو أحمد حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال : لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم فنزلت { إن الشرك لظلم عظيم } رواه البخاري وفي لفظ قالوا : أينا لم يظلم نفسه ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم [ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح { إن الشرك لظلم عظيم } إنما هو الشرك] ولابن أبي حاتم عن عبد الله مرفوعا قال { ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال [بشرك] قال وروى عن أبي بكر الصديق وعمر وأبي بن كعب وسلمان وحذيفة وابن عباس وابن عمر وعمرو بن شربيل وأبي عبد الرحمن السلمي ومجاهد وعكرمة والنخعي والضحاك وقتادة والسدي وغير واحد نحو ذلك وقال ابن مردويه : حدثنا الشافعي حدثنا محمد بن شداد المسمعي حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : لما نزلت { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم [قيل لي أنت منهم] وقال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا أبو جناب عن زاذان عن جرير بن عبد الله قال : [خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما برزنا من المدينة إذا راكب يوضع نحونا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن هذا الراكب إياكم يريد فأنتهى إلينا الرجل فسلم فرددنا عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من أين أقبلت ؟ قال من أهلي وولدي وعشيرتي قال : فأين تريد ؟ قال : أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قال فقد أصبته قال : يا رسول الله علمني ما الإيمان ؟ قال : أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت قال : قد أقررت قال ثم إن بعيره دخلت يده في حجر جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بالرجل فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة بن اليمان فأقعدها فقالا : يا رسول الله قبض الرجل قال فأعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم ثم قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أما رأيتما إعراضي عن الرجل فإني رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات جائعا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من الذين قال الله فيهم { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم } الآية ثم قال دونكم أخاكم فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على

شفير القبر فقال ألدوا ولا تشقوا فإن اللحد لنا والشق لغيرنا] ثم رواه أحمد عن أسود بن عامر عن عبد الحميد بن جعفر الفراء عن ثابت عن زاذان عن جرير بن عبد الله فذكر نحوه وقال فيه : هذا ممن عمل قليلا وأجر كثيرا وقال ابن أبي حاتم : حدثنا يوسف بن موسى القطان حدثنا مهران بن أبي عمر حدثنا علي بن عبد الله عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كنا مع رسول الله A في مسير ساره إذ عرض له أعرابي فقال : يا رسول الله والذي بعثك بالحق لقد خرجت من بلادي وتلادي ومالي لأهتدي بهداك وأخذ من قولك وما بلغت حتى ما لي طعام إلا من خضر الأرض فاعرض علي فعرض عليه رسول الله A فقبل فازدحمنا حوله فدخل خف بكره في بيت جردان فتردى الأعرابي فانكسرت عنقه فقال رسول الله A [صدق والذي بعثني بالحق لقد خرج من بلاده وتلاده وماله ليتهدي بهداي ويأخذ من قلبي وما بلغني حتى ماله طعام إلا من خضر الأرض أسمعتم بالذي عمل قليلا وأجر كثيرا ؟ هذا منهم أسمعتم بالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون ؟ فإن هذا منهم] وفي لفظ قال [هذا عمل قليلا وأجر كثيرا] وروى ابن مردويه من حديث محمد بن يعلى الكوفي وكان نزل الري حدثنا زياد بن خيثمة عن أبي داود عن عبد الله بن سبرة قال : قال رسول الله A [من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر] وسكت قال : فقالوا يا رسول الله ما له ؟ قال { أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } وقوله { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه } أي وجهنا حجتهم عليهم قال مجاهد وغيره : يعني بذلك قوله { وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأني الفريقين أحق بالأمن } الآية وقد صدقه الله وحكم له بالأمن والهداية فقال { الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون } ثم قال بعد ذلك كله { وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء } قرء بالإضافة وبلا إضافة كما في سورة يوسف وكلاهما قريب في المعنى وقوله { إن ربك حكيم عليم } أي حكيم في أقواله وأفعاله عليم أي بمن يهديه ومن يضلّه وإن قامت عليه الحجج والبراهين كما قال { إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون * ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم } ولهذا قال ههنا { إن ربك حكيم عليم }